محاضرة:

نواميس التعدد اللهجي

مقدمة:

يُعد التعدد اللهجي إحدى السمات الجوهرية للغة العربية، ويظهر بوضوح في تنوّع الأصوات، والصيغ الصرفية، والمفردات بين القبائل والمناطق المختلفة. ويُقصد بـ نواميس التعدد اللهجي القوانين والمبادئ التي تحكم هذا التنوع، سواء على مستوى الصوت أو الحركة أو البنية الصرفية والدلالية. هذه النواميس لا تعكس فوضى لغوية بل تنظيمًا داخليًا يحكم اختلاف اللهجات ضمن الإطار العام للغة الأم، بحيث يظل التباين متوافقًا مع النظام اللغوي الكبير.

إنّ دراسة هذه النواميس تتيح فهم كيفية نشوء اللهجات العربية، وتأثير العوامل الجغرافية والاجتماعية والثقافية على تطور اللغة عبر الزمن.

أولا: تعريف اللهجة عند القدماء والمحدثين

تعريف اللهجة:

أ- لغة:

ممّا ورد في المعاجم حول معنى الأصل اللّغوي (ل، هـ، ج)، كلمة مشتقة من مادة لَهَجَ، " اللَّهَجُ بالشيءِ: الولوع به. وقد لَهِجَ به يَلْهَجُ لَهجًا. إذا أُغريِ به فثابر عليه"[1] وأَلْهَجَ زيدٌ: إذا لَهَجَتْ فصالُه برضاع أُمّهاتِها. واللَّهْجَةُ، ويحركُ اللِّسانُ."[2] واللَّهْجَةُ و اللَّهَجَةُ: جَرْسُ الكلام... ويُقال فلانٌ فصيحُ اللَّهْجَة و اللَّهَجَة، وهي لغته التي جُبل عليها ... وفي الحديث: ما مِنْ ذي لَهْجَةٍ أصدقُ من أبي ذّرٍ، قال اللّهْجَةُ اللِّسانُ."[3]

ومن خلال هذه التعاريف اللّغوية وردت اللّهجة في معاجم اللغة بمعانٍ عديدة وورد اشتقاقها بوجهين (لَهَجَ وأَلْهَجَ)، والتي اتفق في معناها هي اللّسانُ واللغة التي نشأ عليها.

ب- اصطلاحا:

تعرف اللّهجة اصطلاحا على أنّها:" نمط من الاستخدام اللغوي داخل اللغة الواحدة يتميز عن غيره من الأنماط داخل نفس اللغة بجملة من الخصائص اللغوية الخاصة ويشرك معها في جملة من الخصائص اللغوية العامة"[4] وأيضا هي" أسلوب أداء الكلمة إلى السامع من مثل إمالة الفتحة والألف وتفخيمها ومثل تسهيل الهمزة أو تحقيقها، فهي جرس الألفاظ وصوت الكلمات وكل ما يتعلق بالأصوات وطبيعتها وكيفية أدائها."[5]

---

[1]- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد، تح محمد محمد تامر، دار الحديث القاهرة، دط، 1430هـ/200م، ص1048.

[2]- القاموس المحيط، الفيروزبادي مجد الدين بن يعقوب، تح أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة دط، 1429هـ/ 2008م، ص1491.

[3]- لسان العرب، ابن منظور عبد الله بن المكرم الأنصاري، تح عبد الله عبد الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار صادر للمعارف، القاهرة، دط، دت، ص 4084.

[4]- العربية وعلم اللغة الحديث، داود محمد محمد، دار غريب، القاهرة، دط، 2001، ص64.

[5]- القراءات واللّهجات، عبد الوهاب حمودات، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1368هـ/ 1948م، ص4، 5.

أ- اللهجة عند القدماء:

يُعبِّر القدماء عما نسميه الآن باللهجة بكلمة(اللغة) في معاجمهم وكتبهم كثيرا، فيشير أصحاب المعاجم القديمة في تعبيرهم عن اللهجة بكلمة اللغة فيقولون لغة تميم ولغة طيء ولغة هذيل، وهم يقصدون بذلك ما يسميه أصحاب اللغة الآن بكلمة (اللهجة) فقد يعبرون في مواضع أخرى بكلمة (اللسان).[6] وهو ما جاء في التعبير القرآني بقوله تعالى " وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (سورة ابراهيم ، الأية 04).

إذ إنّ المصادر القديمة التي تمدنا ببعض الظواهر اللّغوية ومفهوم اللهجات العربية القديمة، حيث تجمع كتب النحو واللغة والمعاجم أنّ معظم المادة التي جاءت فيها جمعت من لهجات البادية في القرنيين الأول والثاني، حيث أنهم رفضوا أخذ اللغة عن القبائل التي عاشت في مناطق متاخمة للحضر في بادية الشام أو العراق.[7]

فمن المعروف أنّ العرب كانت قبائل، وأمة متفرقة ومتشعبة إلى قبائل وبطون توزعت في أرجاء الجزيرة العربية ؛ وكانت كل لهجة من القبائل لها خصائص تنفرد بها، حيث أدى هذا إلى انعزال كل لهجة عن الأخرى وهذا من أسباب نشأة اللهجات العربية القديمة. فقد تمسكت كل قبيلة بخصائصها وأسلوب نطقها في حديثها مع أبناء قبيلتها ، ولكن عندما يقومون في السفر وينظمون الشعر فإنهم يخلصون من الصفات اللهجية الخاصة وتكون بيهم لهجة مشتركة.

لقد انصبت جهود العلماء اللغويين القدامى في اللغة الفصحى واستتكفوا أن يهتموا في أمر اللهجات فأُهمل أمرها ولم يوردوا إلاّ القليل في ثانيا كتب اللغة والأدب.[8]

---

[6] –ينظر، نزول القرآن على سبعة أحرف، مناع بن خليل القطان، مكبة وهبة، القاهرة، ط1، 1991، ج1، ص05.

[7] - ينظر،علم اللغة ، محمود فهمي حجازي، دار غريب، ج1، ص234.

[8] - اللهجات العربية وعلاقتها بالفصحى.ص 04

وأيضا في تناولهم للهجات لم يتخذوا الدقة في نقلها من كتب اللغة؛ إذ لم ينسبوا غالبا كل لهجة إلى قبيلتها أو مكان بيئتها، كانوا يذكرون اللهجة ويكتفون بقولهم: إنها لغة بعض العرب.[9]

ب- ***اللهجة عند المحدثين***

واللّهجة حديثاَ من حيث الاصطلاح تسمى المحلية أو الدارجة أو العامية أو المنطوقة أو المحكية وتستعمل بمعنى واحد، وهي اللّسان الذي يستعمله عامة الناس مشافهة في حياتهم اليومية لقضاء حاجاتهم والتفاهم فيما بينهم وهذا ما أيدّته بعض المعاجم الحديثة وعلماء اللغة فسُجلت لها مصطلحات عديدة أيضا نذكر منها: اللغة الدارجة ولغة الحديث اليومي،[10] والذي يتوافق مع تعريف **كمال بشر** فاللّهجة "كلام الناس أو أحاديثهم العادية خلاف اللغة الفصحى أو اللغة الأدبية"،[11] أو ما يصطلح عنها بالعامية هي لغة الحياة العامة بكل ما فيها من أوجه النشاط الإنساني.[12]

إذ هي لهجة يومية عفوية يكتسبها الإنسان عند بدئه بالكلام يستعملها في تعاملاته العامة وتختلف من منطقة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر.

في حين نجد من علماء اللغة المحدثين من يجعل مكانتها مكانة اللغة نذكر منهم: **أنيس فريحة** بقوله:" أولا...لغة قائمة بذاتها، وثانيا أنّها لغة حية متطورة نامية، تتميز بجميع الصفات التي تجعل منها أداة طبيعية للفهم والإفهام و التعبير عن دواخل النفس."[13]

---

[9] – المرجع نفسه، ص05.

[10]– ينظر، المعجم المفصل في فقه اللغة، مشتاق عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/ 2001م ص114.

[11]– معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008، ص1557، 1558.

[12]– ينظر، دراسات في علم اللغة، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، دط، 1998، ص227.

[13]– اللهجات وأسلوب دراستها، أنيس فريحة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1409هـ/ 1989م، ص 97، 98.

والقول نفسه عند **إميل يعقوب:**" لغة سهلة تسيل على الألسن بلا عسر ولا تصنع وذلك لخلوها من الإعراب."[14]

وهنا نلحظ أنّ كليهما اصطلح على اللهجة باللغة مع تخلِّصها من القواعد والقوانين أو ابتعادها عنها، وقريب من هذا القول ما أشار إليه **أحمد الضبيب** فهي نظام لساني تتطور عبر الزمن لعوامل مختلفة إذ يقول: "وبينما كانت العربية الفصحى تتقيد بنظامها الخاص وقانونها المنظَّم، كانت لهجات الخطاب تتطور في بيئاتها المختلفة، وتتشكل بشكل الأوعية التي تصب فيها، وتتأثّر بما يقابلها أو يفد عليها من ظروف حضارية واجتماعية وسياسية وطبيعية وغيرها."[15]

فاللّهجة المحلية هي تلك التي توجد في الأمة الواحدة وتختلف تبعا لاختلاف الأقاليم كما تختلف عن بعضها في المساحة التي تشغلها كل منها، فقد تكون منتشرة على مستوى رفيع وقد تكون محدودة لتعبر بذلك على ثقافة أعضائها إذ كل لهجة تحاول الحفاظ بشخصيتها وكيانها.[16] ومن ثم نجد اختلافا في كل لهجة بما تحتويه من ألفاظ ومصطلحات.[17]

---

[14]– فقه اللغة العربية وخصائصها، إميل يعقوب، دار الملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص 144، 145.

[15]– دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية، ت . م . جُنستون، تر أحمد محمد الضبيب، الدار العربية للموسوعات بيروت، لبنان، ط 1983،2م، ص 5.

[16]– ينظر، علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط9، 2004، ص179.

[17]– ينظر، الأنثروبولوجيا اللغوية، مها محمد فوزي معاذ، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط، 1430هـ/ 2009م، ص 161.